"الترتيب السوري" في لبنان: تحويل لبنان الى دولة تحت الوصاية السورية في عهد الرئيس حافظ الأسد، وارتخاء السيطرة السورية في عهد الإبن، بشار الأسد (1975- 2005). (https://www.terrorism-info.org.il/ar/19571/)

منشور: 10/03/2005

بـقلم: د. رؤوفين ارليخ

1. إن اغتيال رفيق الحريري، رئيس الحكومة السابق في لبنان، والذي رفض السير في التيار السوري، وما تبع ذلك من تطورات دراماتيكية، دفع من جديد الى جدول الأعمال في لبنان، العالم العربي والأسرة الدولية موضوع التدخل **السوري في لبنان** المستمر منذ **ثلاثين عاماً**. ومن خلال هذه الوثيقة، سنقوم بتحليل المصالح السورية في لبنان، مع الوقوف على المراحل الأساسية في عملية فرض الوصاية السورية على لبنان، منذ بدء الحرب الأهلية في لبنان ولغاية عهد بشار الأسد.

الى جانب ذلك، سيتم الوقوف على ارتخاء السيطرة السورية في فترة بشار الأسد، والتي أدت الى سلسلة من الأحداث الدراماتيكية التي بلغت ذروتها في اغتيال رفيق الحريري، ومظاهرات الجماهير من أنصار "الترتيب السوري" ومعارضيه (بقيادة "حزب الله") وإخراج القوات السورية من منطقة بيروت وشمالي لبنان، والتي تتم هذه الأيام. إن هذا كله يُنذر **بإنتهاء "نظام الطائف"** (المستمر منذ العام 1989)، وبداية **عهد جديد في لبنان وفي تاريخ التدخل السوري في الأزمة اللبنانية**. ومن المتوقع في العهد الجديد أن تكون دمشق **أقل سيادة** مع الحفاظ على **حضور يقل عما كانت عليه سابقاً**. وفي مقابل ذلك، سوف يتمتع أنصار سوريا ومعارضوها بحرية العمل بصورة أكبر. وبناء على ذلك، فمن المتوقع أن يصبح لبنان مرة أخرى **ميدان صراع لمراكز قوى لبنانية**، شرق أوسطية وعالمية، وبؤرة من **عدم الإستقرار الإقليمي** الذي قد قد يُلقي بظلاله على سوريا ذاتها أيضاً.

الجذور التاريخية للتدخل السوري في لبنان:

1. الدارج في **الجغرافيا التاريخية**، العربية والإسلامية، شمل سوريا ولبنان الحاليتين مع الأردن وأرض اسرائيل ضمن اقليم يسمى **بلاد الشام**. وقد رأى باعثو القومية العربية، في دمشق وبيروت، في القرن الماضي، في **لبنان على أنه الجزء الغربي من كينونة سورية أكثر اتساعاً**، والتي تستند الى اللغة، الثقافة والتاريخ المشترك. وبعد انهيار الإمبراطورية العثمانية، في ختام الحرب العالمية الأولى، طالب فيصل بن الحسين، خلال مدة حكمه القصيرة في دمشق، بتوحيد سوريا ضمن "حدودها الطبيعية"، والتي كانت من الناحية العملية تلامس بلاد الشام، وبضمنها لبنان أيضاً.
2. عملت **الترتيبات السياسية في الشرق الأوسط**، كما تم بلورتها بعد الحرب العالمية الأولى، [عملت] على تقطيع الشرق الأوسط الى وحدات سياسية منفصلة، وحالت دون قيام دولة موحدة طبقاً لمطالب القوميين السوريين. أما فرنسا التي حصلت على الإنتداب على لبنان، فقد سعت الى تقوية الكيان اللبناني، والذي حظيت فيه بتعاطف تقليدي من قبل المسيحيين المارونيين. ولهذا السبب، فقد استجاب الفرنسيون لطلبات الزعماء المارونيين **وأنشأوا بتاريخ 31 آب 1920، "لبنان الكبير"** والذي شمل منطقة الحكم الذاتي المسيحية في جبل لبنان (والتي أُقيمت في القرن الماضي) والحقوا به مناطق اسلامية في جنوب لبنان، البقاع والشمال.
3. **رفض القوميون السوريون التسليم** بالدولة اللبنانية الجديدة، واعتبروها دولة مصطنعة لا تملك الحق الذاتي في البقاء. ومنذ اقامتها، وبعد تسنم حزب البعث مقاليد الحكم، وفي ظل حكم الأسد على وجه الخصوص، أكثر قادة سوريا من التأكيد على الصلة الخاصة التي تربط لبنان بسوريا، مما يتمشى مع أقوال الرئيس الأسد **بتاريخ 20 تموز من العام 1976: "تاريخياً، سوريا ولبنان هما دولة واحدة وشعب واحد"**. وقد تم التعبير عن هذا بصورة بالغة من خلال **رفض** السوريين اقامة **علاقات ديبلوماسية** مع لبنان والإعتراف بحدودهم مع لبنان على أنها **حدود دولية** مع دولة مستقلة بكل معنى الكلمة (توجد بين سوريا ولبنان خلافات على مدار سنين طويلة حول مسار الحدود والتي لم يتم مطلقاً تحديدها وتأشيرها بصورة دقيقة)(1)

المصالح السورية في لبنان

4. لم تقتصر السيطرة السورية على لبنان بفعل الطموحات التاريخية في الضم أو لبواعث ايديولوجية. إن التدخل العميق والمتواصل للسوريين في لبنان، وإظهار الإستعداد لدفع أثمان باهظة على مر الزمان من أجل فرض وصايتهم على لبنان، ينبع أساساً من **جملة مصالح حيوية** لسوريا في لبنان، أساسها:-

أ. المصلحة العسكرية – الأمنية، في سياق الصراع مع اسرائيل:-

1. **حماية القطاع الغربي لدمشق من هجوم اسرائيلي**: لقد سعت سوريا بصورة تقليدية الى دمج لبنان في الجبهة المواجهة لإسرائيل، **والحيلولة دون استغلال أراضي لبنان وضعف الجيش اللبناني من قبل اسرائيل لتطويق هضبة الجولان**، واجتياح دمشق أو شمال سوريا عن طريق البقاع اللبناني. وقد تعاظم هذا الخوف نتيجة للعبر المستقاة من حرب لبنان، عندما نفذ الجيش الإسرائيلي عبر "فتح لاند"، واصطدم وجها لوجه مع الجيش السوري، ودمر معظم الكتيبة المدرعة الأولى، واخترق خط الدفاع الأول للسوريين في البقاع. وقد أوقف الجيش الإسرائيلي تقدمه عندما أخذت اسرائيل على عاتقها، ومن طرف واحد، وقفاً لإطلاق النار دخل الى حيّز التنفيذ بتاريخ **11 حزيران 1982**.
2. **تفعيل "سلاح الإرهاب" من الأراضي اللبنانية كوسيلة لتفعيل الضغط على اسرائيل**: كان الميدان اللبناني ("فتح لاند" وجنوب لبنان) المناطق التقليدية التي شجع فيها السوريون الإرهاب ضد اسرائيل، كوسيلة لتفعيل الضغط عليها من أجل استنزافها أو ابتزاز تنازلات سياسية في اطار الصراع الإسرائيلي – العربي. وعلى مر السنوات من الصراع الإسرائيلي العربي، شجّعت دمشق الإرهاب من جنوب لبنان خلال فترات مختلفة، بدءا من فترة "الثورة العربية"، بين الأعوام (1936- 1939)، ومروراً بسنوات الخمسينيات (أنظر الوثيقة المرفقة) ولغاية تشجيع "حزب الله" خلال عهدنا الحالي، من خلال استغلال **ضعف** لبنان. وفي هذا

السياق، تنم أقوال رئيس الوزراء السابق، دافيد بن غوريون، في منتصف الخمسينيات عن علم ومعرفة: "لا تستطيع حكومة لبنان الإختباء وراء السوريين فيما يتعلق بالفدائيين [القادمين] من حدودها. نحن لا نريد الزج بلبنان في التعقيدات، غير أننا لا نستطيع أن نقف صامتين ونحن نرى كيف تسمح لمجموعات من القتلة بالعمل من أراضيها والعثور على ملجأ فيها" (دافيد بن غوريون، 12 تشرين الثاني 1956).

لا جديد تحت الشمس

الإرهاب كسلاح بيدي سوريا: معلومات وصلت الى أيدي السفير العسكري الأمريكي في بيروت (8 تموز 1953) حول الهجمات التي تقوم بها مجموعات فلسطينية يقودها أبو محمد صفوري ("عبد الرحمن") في خدمة مصالح الرئيس السوري، الشيشكلي، والمفتي الحاج أمين الحسيني (المصدر: "في الورطة اللبنانية"، تأليف الدكتور رؤوفين ارليخ، إصدار "معراخوت"، 2000، صفحة 392).

ب) **تعزيز المكانة الإقليمية لسوريا وتحسين مكانتها في مواجهة اسرائيل:** إن فرض الوصاية السورية على لبنان، وربطها بالسياسة السورية ومنع تأثير الدول الأخرى عليها، شكّل من وجهة نظرها **أداة قوية جداً لتعزيز مكانتها الإقليمية**، وجعلها في موقع قوة مُحسَّن قبالة **الولايات المتحدة الأمريكية**، وكذلك **اسرائيل**. لقد كانت لسوريا مصلحة واضحة في الإحتفاظ بلبنان "كرهينة" **لتحقيق الهدف السوري في إعادة هضبة الجولان من خلال منع التوصل الى اتفاق سلام بين اسرائيل ولبنان** (لقد حال السوريون دون حدوث أي تقدم في المفاوضات الإسرائيلية- اللبنانية في اطار عملية مدريد)؛ بالإضافة الى ذلك، فقد كانت للسوريين مصلحة في الحفاظ على الإرهاب من الأراضي اللبنانية على شكل "ورقة ضغط" على اسرائيل من أجل منع التقدم في العملية السياسية، بما يخالف الوتيرة السورية، وبما لا يتناسب مع المصالح السورية.

ج) **المصلحة السورية الداخلية- منع التآمر من طرف لبنان:** كان لبنان الذي يتمتع بإنفتاح سياسي وصحافة حرة نسبياً، [كان] يُستعمل دائما **دفينة مريحة** لإنتظام مجموعات المعارضة ضد الأنظمة الحاكمة في سوريا، وقد كانت تجد لنفسها ملجأ في لبنان، أو كانت تنتظم فيها وتعمل من خلالها. وقد أقامت عناصر المعارضة في سوريا، في أكثر من مرة، اتصالات وثيقة مع العناصر المعادية لسوريا في الميدان اللبناني ("الإخوان المسلمون" ومجموعات اسلامية اضافية؛ "الحزب السوري القومي"؛ "القوات اللبنانية"). أما نظام الأسد الذي سعى الى تثبيت واستقرار الحالة الداخلية في سوريا، بعد مرور سنوات من عدم الإستقرار المزمن، فقد كانت له مصلحة واضحة في قطع العلاقة الممتدة عبر سنوات طويلة بين عناصر المعارضة في سوريا والجبهة الداخلية في لبنان.

د. **المصالح الإقتصادية:** يوجد لسوريا مصلحة تقليدية في تطوير مصالحها الإقتصادية في لبنان، وفي بعض الأحيان من خلال استغلال لبنان اقتصادياً. على سبيل المثال: في لبنان يعمل مئات الاف العمال السوريين في الأعمال المتدنية، ويقوم هؤلاء بتحويل مبالغ مالية ضخمة الى سوريا، تصل الى **مئات الملايين من الدولارات كل عام**، وهم يخففون بهذا من ضائقة البطالة (نسبة العاطلين عن العمل في سوريا تفوق نسبة 20%). توجد لسوريا ايضاً مصالح اقتصادية اضافية: الحفاظ على التجارة غير المتماثلة بين الدولتين من خلال استعمال القالب اللبناني كسوق هام جداً للتصدير السوري الذي يصل الى حوالي 400 مليون دولار كل عام؛ **استغلال مصدر هام للماء** يبدأ من لبنان (في البقاع) ليصل الى شمال سوريا **(نهر العاصي- أورونتوس)**؛ **استغلال المنظومة المصرفية اللبنانية** المتطورة جداً بالنسبة للمنطقة، ومقارنة مع سوريا بالطبع؛ **أعمال التهريب والمخدرات** التي كانت دائماً مصدر دخل هام لسوريا وكبار المسؤولين في قيادة النظام الحاكم لحافظ الأسد (لا شك أن لبنان كان عنصراً أتلف ويتلف الإحتلال السوري، كما فعل لبنان مع محتلين آخرين).

مراحل عملية سيطرة نظام الأسد على لبنان ومميزاتها

5. منذ الحصول على الاستقلال وحتى بداية سنوات السبعينيات، حالت العوامل التالية دوت السيطرة السورية على لبنان: **الضعف** الداخلي لسوريا، **قدرة الحياة** للنظام الماروني- السني التقليدي الحاكم في لبنان، والذي يرتكز على "الميثاق الوطني" منذ العام 1943، **الردع الإسرائيلي** (خاصة على ضوء العبر التي استخلصها الأسد من غزو الجيش السوري للأردن في أيلول 1970) **والرعاية الغربية**، والتي ترتكز على سوابق تاريخية من التدخل الفرنسي في القرن الماضي وتدخل الولايات المتحدة في نهاية سنوات الخمسينيات (في 15 تموز 1958، هبط حوالي 1500 جندي من مشاة البحرية الأمريكية على شواطئ بيروت لتقديم المساعدة لنظام كميل شمعون المناصر للغرب والذي واجه المتمردين الناصريين، الذين حازوا على الدعم من مصر وسوريا. وقد أدى التدخل الأمريكي في ذلك الحين الى انتهاء الحرب الأهلية في ذلك الوقت).

6. في النصف الأول من سنوات السبعينيات، **تضعضعت هذه الكوابح: لأول مرة** يتبلور نظام حكم مستقر في سوريا بقيادة حافظ الأسد، على ضوء انهيار النظام اللبناني التقليدي أثناء الحرب الأهلية (1975- 1976)؛ تآكل الردع الإسرائيلي خلال حرب يوم الغفران (حرب أكتوبر، 1973)؛ تنامي الثقة بالنفس في العالم العربي، وظهور اشكالية الرعاية الأمريكية (على خلفية الصعوبات التي واجهتها الولايات المتحدة الأمريكية في فيتنام).

7. بناء على ذلك، وجد نظام الأسد **"شباك فرص"** في منتصف سنوات السبعينيات. وقد أوجد انسحاب مصر من الحلف مع سوريا والخاص بحرب يوم الغفران (حرب اكتوبر، 1973)، وغياب الرغبة لدى السوريين بالتقدم في العملية السياسة مع اسرائيل، [أوجدت] هي أيضاً **الدافع الفوري**. وقد وفرت الحرب الأهلية وانهيار النظام اللبناني **العلة والفرصة**. ومن خلال النظر الى الوراء يمكننا أن نقرر إذاً، أنه في منتصف سنوات السبعينيات **طرأ تغيير استراتيجي بعيد المدى على جدول الأولويات الوطنية لسوريا**، واحتل الصراع على لبنان **المكان الأول**، على حساب معالجة الصراع مع اسرائيل واعادة الجولان. **وفقط في بداية التسعينيات**، عندما نجحت سوريا في التغلب على مصاعبها المستمرة، وانتهت من "هضم" لبنان، دخلت في العملية السياسية مع اسرائيل خلال مؤتمر مدريد وما تبعه من مفاوضات.

8. خلال عملية السيطرة السورية على لبنان، منذ اندلاع الحرب الأهلية ولغاية اليوم، **يمكن تشخيص ستة مراحل أساسية**، ومرحلة واحدة نقف على أعتابها:-

أ. **المرحلة أ: السيطرة** العسكرية على لبنان أثناء الحرب الأهلية اللبنانية (1975- 1976).

ب. **المرحلة ب**: "صعوبة هضم" لبنان – الفشل السوري في تحويل الإحتلال العسكري الى مكسب سياسي (1977- 1981).

ج. **المرحلة ج**: صعود اسرائيل وسوريا على خط المواجهة (1981- 1982).

د. **المرحلة د**: المواجهة بين اسرائيل وسوريا خلال حرب لبنان (1982- 1985).

هـ. **المرحلة هـ**: تثبيت وتعميق السيطرة السورية بعد حرب لبنان (1985- 1989).

و. **المرحلة و**: "اتفاق الطائف" واستقرار السيطرة السورية على لبنان (1989- 2005).

ز. **المرحلة ز**: عشية مرحلة جديدة من التدخل السوري في لبنان؟ تصدعات في نظام الطائف منذ صعود بشار الأسد الى سدة الحكم، وبداية عهد جديد مع إخراج القوات السورية من مناطق بيروت وطرابلس (آذار 2005).

9. فيما يلي مختصر لمميزات المراحل المختلفة للتدخل السوري في لبنان.

المرحلة أ: إجتياح الجيش السوري والسيطرة على لبنان أثناء الحرب الأهلية اللبنانية (1975- 1976).

10. انجرت سوريا الى الحرب الأهلية المتفاقمة في لبنان. وفي البداية كانت **وسيطاً** بين الأطراف العنيدة، ومن ثم تحولت الى **التدخل السياسي** ومحاولة فرض (برامج ترتيبية)، ثم **التدخل العسكري المحدود** في بؤر المعارك في بيروت والبقاع، وفي النهاية **الإجتياح العسكري المكثف** بهدف تحقيق الحسم وفرض **"الترتيب السوري"** على الأطراف العنيدة.

11. **بتاريخ 1 حزيران 1976 (وهو تاريخ مفصلي في تاريخ التدخل السوري في لبنان) بدأت سوريا اجتياحاً عسكرياً مكثفاً للبنان،** حيث قامت قوة عسكرية بحجم كتيبة معززة بإجتياح لبنان. وقد كان الإجتياح يهدف الى حماية المعسكر المسيحي، والذي قام **قادته** (وليس حكومة لبنان) بإرسال طلبات عاجلة لطلب المساعدة(2) ، **وإخضاع التحالف** المكون من المخربين واليسار، وهم حلفاء السوريين سابقاً الذين رفضوا قبول الإملاءات السورية. وقد نجح **التحالف** الفلسطيني- اللبناني، بقيادة **ياسر عرفات وكمال جنبلاط في ايقاف الجيش** السوري في مداخل صيدا وبيروت، حتى "الهجوم على الجبل" **ومؤتمر القمة العربي في الرياض والقاهرة (نهاية 1976)**، والذي أسفر عن تراجع (مؤقت) في أعمال القتال بين الطرفين المتخاصمين في لبنان.

12. **سياسة اسرائيل تجاه لإجتياح السوري للبنان: منذ بدايته،** كانت قضية التدخل السوري في لبنان، سبباً للخلافات وسط صناع القرار في اسرائيل في ذلك الوقت. وعشية إجتياح الجيش السوري للبنان في صيف 1976، **ظهر في اسرائيل مذهبان مختلفان** حول هذه الجزئية:-

أ. **المذهب الأول** ممثلاً برئيس الحكومة **اسحاق رابين، ورئيس هيئة الأركان في الجيش الإسرائيلي، مردخاي (موطه) غور، الذي كان يرى أن اسرائيل ليست شرطي الشرق الأوسط** وأن ما يحدث في الدول العربية ليس من شأن اسرائيل ما دام لا يشكل خطراً على أمن اسرائيل (بعد "حملة الليطاني"، ذهب موطه غور الى أبعد من ذلك، وادعى أنه يجب اتاحة الفرصة للسوريين للسيطرة على جنوب لبنان لكي يصبحوا "عنواناً" لمنع الإرهاب، وفي الخلفية كانت تتراءى صورة التجربة الإيجابية لغياب العمليات الإرهابية في هضبة الجولان). وقد رأى هذا المذهب عدم الحيلولة دون دخول القوات السورية الى لبنان.

ب. **المذهب الثاني** كان يشكّل **أقلية** وضم **أريئيل شارون** (في ذلك الوقت مستشار رئيس الحكومة يتسحاق رابين)، **رفائيل (رافول) ايتان** (في ذلك الوقت قائد المنطقة الشمالية)، فقد كان يرى في **الوجود السوري في لبنان خطراً أمنياً على اسرائيل،** ولهذا السبب يجب **منع** دخول الجيش السوري الى لبنان، ولو كان الثمن، في ظل غياب الخيارات، المواجهة العسكرية بين اسرائيل وسوريا.

13. لقد رجَّح **المذهب الأول** الكفة، وصار هذا التصور يقف في صميم السياسة **الإسرائيلية التي أتاحت إدخال قوة عسكرية سورية مكثفة الى لبنان من خلال المحادثات غير المباشرة مع السوريين بواسطة الأمريكيين. وقد دارت هذه المباحثات في الأشهر آذار- أيار 1976، عشية الإجتياح السوري للبنان بواسطة سفيري الولايات النتحدة الأمريكية في دمشق وتل أبيب،** وبواسطة وزير الخارجية الأمريكي، هنري كيسينجر، الذي لعب دوراً هاماً ومركزياً في تطوير التفاهم غير المباشر وغير المكتوب الذي تم التوصل اليه بين الطرفين.

14. وقد ارتكز هذا التفاهم غير المكتوب على الأسس التالية:

أ. **الموافقة على " الخط الأحمر"** الذي يفصل ما بين منطقة النشاطات السورية وبين منطقة المصالح الإسرائيلية: وقد دارت مفاوضات غير مباشرة بين اسرائيل وسوريا حول موقع هذا الخط. في البداية (مطلع شهر آذار) طالبت اسرائيل بتحديد منطقة انتشار الجيش السوري حتى الخط الذي يمر على بعد 10 كيلومتر جنوب شارع دمشق دمشق- بيروت. وفي النهاية (شهر أيار)، تم الإتفاق على الخط الذي يمر من **صيدا الى خونة (جنوبي جزين)، ومن هناك الى ريشيا الوادي.**

تـوزيع مناطق المصالح والنفوذ: على خلفية تقوض الحكم اللبناني والفوضى التي سادت لبنان، وتطبيقاً للتعريف الخاص بـ "الخط الحمر"، فقد جرى ما يشبه توزيع مناطق النفوذ بين اسرائيل وسوريا. المنطقة التي تقع شمالي "الخط الأحمر"، وهي منطقة تقع ضمن النفوذ السوري، تم تخصيصها لسوريا، ومن الناحية العملية، حرية العمل في تحريك قواتها العسكرية (الى جانب المعسكر المسيحي) من أجل ايقاف الحرب الأهلية، وفرض السيادة على اليسار والفلسطينيين. وفي المنطقة التي تقع جنوبي "الخط الأحمر" اعترف السوريون من الناحية العملية بالمصلحة الأمنية لإسرائيل في جنوب لبنان، في الفترة التي بدأ فيها يتبلور شريط خارجي (منطقة جنوب لبنان) بقيادة الرائد سعد حداد (منطقة جنوب لبنان هي المنطقة التي سبقت "المنطقة الأمنية").

تـقييدات حول الوسائل القتالية وقضية مدة مكوث الجيش السوري في لبنان: لم يكن السوريون مستعدون **للإلتزام** بأي تقييد حول حجم قواتهم الغازية، ونوع سلاحها، **ومدة مكوثها في لبنان**. ولم يقدر السوريون جيداً تعقيدات الإتفاق، واعتقدوا أنه خلال مدة قصيرة من الزمن **تصل الى حوالي أسبوع، سيكون بإمكانهم فرض النظام في لبنان. وقد اقتضى الأمر بالنسبة للسوريين فترة متواصلة، 13 عاما، منذ الإجتياح السوري للبنان ولغاية "اتفاق الطائف"- من أجل تثبيت واستقرار سيطرتهم وتعزيز "الترتيب السوري".**

"قـواعد اللعبة" المتفق عليها بكل ما يتعلق بالنشاطات الجوية: هناك رواية تقول أن التفاهمات غير المباشرة بين اسرائيل وسوريا شملت أيضاً **عدم إدخال صواريخ أرض- جو سورية الى لبنان**، وعدم تحليق الطائرات الحربية في سماء لبنان، ويفهم من ذلك، عدم المس بحرية الطيران الإسرائيلي في سماء لبنان(3) .

المرحلة ب: "صعوبة هضم" لبنان – الفشل السوري في تحويل الإحتلال العسكري الى مكسب سياسي (1977- 1981).

15. **فيما بعد،** منح مؤتمرا القمة العربية الإثنان، في الرياض والقاهرة، للإحتلال السوري **الشرعية** من خلال تواجد حوالي 20.000 جندي سوري في لبنان، والذين تحولوا الى المركب السائد في **"قوات الردع" العربية المشتركة**، التي أشرفت على تجميع الأسلحة وإخلاء المواقع والتحصينات الخاصة بالأطراف المتصارعة. وقد دخلت القوات السورية الى بيروت وصيدا، وهي معاقل المخربين واليساريين. وقد سيطر السوريون على بيروت وحددوا خارطة انتشار الجيش السوري في لبنان من خلال قضائهم على خصومهم، ومن أبرزهم **كمال جنبلاط**، زعيم الطائفة الدرزية وأحد قيادات التحالف المناوئ لسوريا.

رسم كاريكاتير من أعمال بيير صادق، رسام الكاريكاتير في صحيفة "النهار"، تلفزيون LBC، ووسائل اعلام اضافية في لبنان وخارجها. يُظهر رسم الكاريكاتير (كانون الأول 2003) رفيق الحريري، والذي أبدى معارضة لـ "الترتيب السوري"، وهو يتذكر أثناء ممارسة اليوغا، كمال جنبلاط، زعيم الدروز الذي عارض الإجتياح السوري للبنان وتمت تصفيته من قبل السوريين. ووفقاً للمنظور اللبناني فإن رفيق الحريري يقع ضمن "دائرة الهدف" للسوريين، وقد تحول الى رمز للوحشية التي يتعامل بها السوريون مع معارضيهم.

16. **غير أن السوريين الذين نجحوا في "ابتلاع" لبنان بواسطة الإحتلال العسكري والغطاء السياسي العربي، وجدوا صعوبة في "هضم" لبنان**: فهم لم ينجحوا في إرغام **الفلسطينيين** على تطبيق الإتفاقيات التي تم ابرامها معهم، ةالتي يتوجب عليهم وفقاً لها قبول التقييدات التي تم فرضها بخصوص تواجدهم المسلح في لبنان وفق "اتفاقية القاهرة" (في العام 1969) وملاحقها، ودا في ذلك الوقت أن الفلسطينيين، بقيادة ياسر عرفات، قد اكتسبوا شهرة في لبنان والعالم العربي كمن يخل بالإتفاقيات بصورة متواصلة. كذلك تضعضعت علاقات السوريين، كلما طالت مدة مكوثهم في لبنان، مع **المعسكر المسيحي**، والذي كان قد استقبل بحفاة دخول الجيش السوري.

17. في أوساط المسيحيين الذين أصيبوا بخيبة الأمل من السوريين في تلك الفترة، أخذ يتبلور **تيار راديكالي مناوئ لسوريا في جوهره**، والذي كان مستعداً للتعاون مع اسرائيل وتعميق التعاون معها، بصورة تفوق أنماط التعاون الذي تطور منذ بداية الحرب الأهلية. وقد كان الممثل الأبرز لهذا التيار، **بشير الجميل**، قائد "القوات اللبنانية"، وهي الذراع العسكرية لـ "الكتائب" (بقيادة بيير الجميل)، والذي كان مدعوماً من قبل الرئيس اللبناني السابق، **كميل شمعون**.

18. بدءاً من العام 1978، تطورت بصورة تدريجية **مواجهة عنيفة** بين المليشيات المسيحية (برزت من بينها "القوات اللبنانية" بقيادة بشير الجميل) وبين الجيش السوري. وقد كان بشير الجميل وأنصاره يهدفون الى تحرير لبنان من الإحتلال السوري. ومن أجل تحقيق هذا الهدف عمل المسيحيون على زيادة التدخل الإسرائيلي في الأزمة اللبنانية وتوريطها في مواجهة عسكرية مع السوريين. **وقد لعبت هذه السياسة للمعسكر المسيحي دوراً مفصلياً في جر اسرائيل الى التدخل المباشر في تعقيدات الأزمة اللبنانية وصعودها على مسار قادها الى حرب لبنان.**

المرحلة ج: صعود اسرائيل وسوريا على خط التعاطي والمواجهة في الميدان اللبناني (1981- 1982).

19. في هذه المرحلة **انهارت** من الناحية العملية **"قواعد اللعبة"** بين سوريا واسرائيل في الميدان اللبناني، كما تمت بلورتها في ربيع 1976، وصمدت خلال الأزمة اللبنانية بما في ذلك أثناء "حملة الليطاني" (1978). وقد صعدت الدولتان على مسار من **التعاطي**، وقد لعب التوتر بين الدولتين دوراً هاماً في انجرار اسرائيل الى حرب لبنان. الأسباب الأساسية لهذا: **تحسن العلاقات السورية الفلسطينية، أعمال الإستفزاز من قبل المليشيات المسيحية** ("القوات اللبنانية) على مرآى من قوات الجيش السوري، وتصويرها في عيون اسرائيل على أنها "ضحية" من أجل جرها الى المواجهة، استعداد **اسرائيل** في أعقاب تحول الحكم الذي وقع فيها، للشذ عن سياستها السابقة ("مساعدة المسيحيين في مساعدة أنفسهم") واظهار **التدخل المباشر** في حماية حلفائها في المعسكر المسيحي(4) .

20. ظهرت بداية الخروج عن "قواعد اللعبة" في **"أزمة الصواريخ" (نيسان 1981)** عندما قام سلاح الجو الإسرائيلي **بإسقاط مروحيتي نقل (مي- 8) سوريتين فوق** منطقة رياق، أثناء المواجهة في **زحلة** بين الجيش السوري والمليشيات المسيحية (بسبب الإعتقاد الخاطئ أن المروحيتين توشكان على قصف موقع مسيحي هام، **"الغرفة الفرنسية"**، في جبل سنين). **وفي ظل** اسقاط المروحيتين، **كانت هناك الوعود التي قطعها رئيس الوزراء مناحيم بيجن أمام لزعماء المسيحيين، كميل شمعون وبشير الجميل، بأن اسرائيل لن تقف مكتوفة الأيدي إذا تم تفعيل سلاح الجو السوري ضد المليشيات المسيحية.**

21. **بتاريخ 29 نيسان،** غداة اسقاط المروحيتين، **أدخل السوريون الى البقاع ثلاث بطاريات صواريخ أرض- جو من طراز (اس. ايه- 6)** وبطاريات اضافية فيما بعد (قبل اسقاط المروحيتين، كان السوريون قد حفروا محميات ترابية دون إدخال صواريخ أرض- جو، وهي "اشارة" واضحة لم تلتقطها اسرائيل). **وقد انتقلت سوريا واسرائيل الى نمط من التعاطي المباشر في لبنان**، وقد قادهما الى المواجهة العسكرية (بالإقتصار على الميدان اللبناني) أثناء حرب لبنان. وقد سبق هذا سلسلة من المواجهات الجوية بين الطائرات السورية والطائرات الإسرائيلية والتي وقعت بين السنوات 1979- 1982، وانتهت جميعاً بإسقاط الطائرات السورية.

22. نجح **المعسكر المسيحي** إذا، وبعد جهود استمرت ثلاث سنوات (منذ 1978)، في ختام الأمر أثناء "أزمة الصواريخ" في جر اسرائيل الى المواجهة العسكرية مع سوريا. وبعد ذلك، سارع قادة المسيحيين الى التراجع، وسرعان ما توصلوا الى "اتفاق زحلة" مع السوريين (حزيران 1981)، والذي أدى الى توقف الصدامات بين الجيش السوري والمليشيات المسيحية.

23. من أجل تحييد الطاقة التفجيرية الكامنة في "أزمة الصواريخ"، فقد حاولت الإدارة الأمريكية (إدارة ريجان التي استبدلت إدارة كارتر في كانون الثاني 1981) التوسط بين الطرفين. بيد ان **السوريين** رفضوا التجاوب مع محاولات الوساطة للمبعوث الأمريكي **فيليب حبيب**، من أجل إخراج الصواريخ من البقاع، ولم تنفع حتى التهديدات العلنية لرئيس الوزراء الإسرائيلي في المعركة الإنتخابية، في حزيران 1981، في اقناعهم بفعل هذا. **ومن ناحيتها، فكرت اسرائيل بقصف هذه الصواريخ عن طريق القصف الجوي، غير انها في ختام الأمر عدلت عن رأيها هذا بسبب إعطاء الأولوية لقصف المفاعل الذري في العراق. وحول هذا الموضوع، كتب رفائيل ايتان، الذي كان يشغل آنذاك منصب رئيس هيئة أركان الجيش الإسرائيلي، في كتابه "رافول، قصة جندي"** (الصفحات 186- 187):

"كان هناك ثمة تردد من نوع آخر: لقد أعلنت اسرائيل عدة مرات أنها لن تقبل بوجود الصواريخ السورية ضد الطائرات في البقاع اللبناني. وقد ذهبت جهود المبعوث الأمريكي، فيليب حبيب، من أجل إخراجها أدراج الرياح، ولم يعد هناك أي مبرر للمزيد من تعليق الآمال عليها. **وقد تم تأجيل عملية تدمير الصواريخ بسبب الأحوال الجوية، وتم تأجيلها لأسباب سياسية. والآن، وبينما كانت خطة تدمير المفاعل الذري العراقي** موضوعة على طاولة البحث، كان هناك من ادعى انه يتوجب أولاً تدمير الصواريخ في لبنان لأنها مشكلة محسوسة أكثر. وطبقاً لهذه الفرضية لن يكون بإمكاننا امتصاص جميع النقد القاسي في العالم بسبب تدمير المفاعل الذري العراقي ومن بعد ذلك الهجوم على الصواريخ السورية. **وقد رفض رئيس الحكومة هذا الإدعاء، إذ أن المفاعل الذري العراقي وما يحتويه هو بمثابة خطر على وجود اسرائيل**. أما الصواريخ، وعلى الرغم من أهميتها، فإنها قادرة على ضرب اسرائيل وتشويش برامجها، غير أنها لا تُشكِّل خطراً على وجود اسرائيل. بناء على ذلك، فإن العكس هو الصحيح: إذا قمنا أولا بالهجوم على الصواريخ وتدميرها، ربما تنشأ في المنطقة ظروف عسكرية أو سياسية، تحول دون قدرتنا على تدمير المفاعل العراقي".

المرحلة د: المواجهة بين اسرائيل وسوريا خلال حرب لبنان (1982- 1985).

24. **مكانة سوريا بالمنظور الحربي الإسرائيلي:-**

أ. في مراحل التخطيط العسكري المبكر لحملة "سلامة الجليل"، كان وزير الدفاع ورئيس هيئة الأركان يعيان أن وجود **الجيش السوري** في **لبنان يناقض بصورة جوهرية تطبيق باقي أهداف الحرب.** وعلى الرغم من ذلك، فقد تم تبديل **التحديد من المستويين، السياسي والعسكري، على أساس أن اسرائيل لا ترغب بالدخول في مواجهة عسكرية شاملة الجيش السوري.** ومع أن تقديرات الإستخبارات كانت ترى أن الحملة واسعة النطاق ضد الفلسطينيين قد تؤدي الى مواجهة مباشرة مع الجيش السوري، غير أن التصور الذي كان قائماً، كان يرى أنه من الأفضل ان يتم الأمر **عشية انتهاء الحرب وبصورة محدودة.**

ب. من أين **نبع إحجام المستوى السياسي العالي في اسرائيل عن ضرب الجيش السوري في لبنان كشرط مسبق لتحقيق باقي أهداف حرب "سلامة الجليل"؟**

كان هناك سببان أساسيان في صلب الموضوع:-

1) **الإضطرار السياسي**: معظم الوزراء في الحكومة، وكذلك المعارضة أيضاً، كانوا مستعدين للتسليم بخطة عملية تهدف الى **تدمير البنية التحتية للمخربين في لبنان، غير انهم لم يرغبوا بالدخول في حرب شاملة مع سوريا.**

2) الإضطرار الدولي: كانت التقديرات تشير الى امكانية الحصول على الدعم أو على الأقل **التسليم** من قبل الولايات المتحدة الأمريكية بخصوص تدمير البنية التحتية للمخربين، بينما ستؤدي المواجهة العسكرية مع سوريا الى فرض وقف لإطلاق النار على الجيش الإسرائيلي من قبل الدول العظمى قبل تحقيق باقي الأهداف (كما وقع في حروب سابقة).

المبعوث الأمريكي فيليب حبيب يلتقي حافظ الأسد (9 حزيران 1982)، على خلفية تقدم الجيش الإسرائيلي في "فتح لاند" في الأيام الأولى من حرب لبنان (6- 8 حزيران). ولم يمنع لقاؤهما من وقوع المواجهة بين الجيش الإسرائيلي وبين الجيش السوري.

25. لم تُقدم اسرائيل إذاً على ضرب الصواريخ السورية في البقاع حتى حرب لبنان، غير ان التوتر والقدرة على التدهور كانت ما تزال على حالها. **وفي الأشهر التي سبقت حرب لبنان**، تابع السوريون بيقظة الإستعدادات الإسرائيلية المتواصلة، وكان من الواضح لهم أن الجيش الإسرائيلي يقوم بتركيز قواته في شمالي اسرائيل ويستعد للقيام بعملية اسرائيلية في لبنان. وقد اعتقد السوريون أن هذه العملية موجهة الى المخربين الفلسطينيين. ومن وجهة النظر التكتيكية، فوجئ السوريون **بتوقيت** العملية، وفوجئوا أكثر من **حجمها.**

26. في الأيام الثلاثة الأولى من الحرب (حتى المعركة على جزين)، كان السوريون يميلون الى تصديق التصريحات الإسرائيلية بخصوص الأهداف المحدودة لـ "الحملة"، وفسروا الخطوات الإسرائيلية على أنها موجهة ضد البنى التحتية للمخربين في جنوب لبنان. وعلى ضوء هذه الخلفية، فقد اكتفى السوريون خلال أول ثلاثة أيام من الحرب بنقل الإمدادات والأعمال العسكرية ذات الطابع المحدود كي لا يتوفر لإسرائيل المبرر للقيام بعمل عسكري ضدهم.

27. في الفترة الواقعة بين 8- 11 حزيران، انتقل مركز القتال من البنى التحتية الفلسطينية الى الجيش السوري. وخلال هذه الأيام الأربعة وقعت مواجهات شاملة بالمدرعات بين الجيش الإسرائيلي وبين الجيش السوري، تم خلالها تدمير معظم الكتيبة السورية الأولى، واختراق خط الدفاع الأول للسوريين في البقاع. وقد كان بإمكان الجيش الإسرائيلي الإنتقال للمطاردة والوصول الى مناطق المناورات في البقاع ومنها الى شارع دمشق بيروت. غير ان الجيش الإسرائيلي، وعلى الرغم من هذا لم يستغل الفرصة السانحة ووافقت اسرائيل على **وقف اطلاق النار** بتاريخ 11 حزيران، الساعة 12:00.

28. بعد وقوع هذا، يمكن التحديد أن هذه كانت نقطة تحول في حرب لبنان. **إن امتناع اسرائيل عن ضرب الجيش السوري وطرده من لبنان كان أحد الأسباب الرئيسية للتصدع بين سوريا وبين المعسكر المسيحي**، والذي كان يتوقع أنه بمساعدة اسرائيل يمكن تحرير لبنان من الإحتلال السوري. **إن الإستراتيجية الإسرائيلية التي امتنعت عن الحسم في البقاع وتدمير الجزء الأساسي من القوة السورية في لبنان، أتاحت فيما بعد للسوريين إستقدام الموارد من سوريا الى لبنان وإعادة تأهيل الوحدات التي لحق بها الضرر، وتحويل فشلهم العسكري فيما بعد الى نجاحات سياسية.**

الفرقة 85 السورية وهي تُخلي بيروت في ختام الحصار على المدينة (21 آب 1982). من اليمين: وليد جنبلاط وهو يطلق النار في الهواء تحية للقوات السورية المغادرة. وقد عاد الجيش السوري الى بيروت في ختام حرب لبنان. أما وليد جنبلاط، ابن الزعيم الدرزي كمال جنبلاط الذي قُتِلَ على يدي السوريين، فقد صار اليوم أحد أعمدة المعارضة للوجود السوري في لبنان.

29. أثناء حرب لبنان ومكوث الجيش الإسرائيلي في لبنان، تعاطى الجيش السوري من موقع **التضعضع والضعف** مع التحدي الذي فرضه الوجود العسكري الإسرائيلي في لبنان. وفي الفترة الممتدة ما بين الإنتهاء من جلاء قواتهم من بيروت (آب 1982) ولغاية جلاء الجيش الإسرائيلي من لبنان وإقامة "المنطقة الأمنية" (كانون الثاني 1985)، **أدار السوريون صراعاً عنيداً ضد الوجود الإسرائيلي في لبنان** بواسطة "رُسُل" (proxies) لبنانيين من خلال المحافظة على **الهدوء** في هضبة الجولان **والإمتناع** عن المواجهة العسكرية المباشرة مع الجيش الإسرائيلي.

30. وفي اطار تعاطيهم مع اسرائيل حول النفوذ في لبنان، حقق السوريون نجاحات بارزة. ومن أهمها **قتل بشير الجميل**، قائد المعسكر المسيحي ورمز المعارضة للإحتلال السوري والميل بإتجاه اسرائيل؛ **عدم التصديق على الإتفاق** الإسرائيلي- اللبناني المبرم بتاريخ 17 أيار 1983 والذي كان من الممكن أن يتيح نهاية حرب لبنان مع مكسب سياسي لإسرائيل؛ **طرد القوات الدولية متعددة الجنسيات** (والتي كانت تضم أساساً وحدات عسكرية من جيش الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا) من بيروت تحت وطأة الإرهاب الذي أداره "حزب الله" وداعميه (ايران وسوريا)؛ **انهيار نظام حكم الرئيس أمين الجميل** بفعل ضغوط المليشيات الدرزية المدعومة من دمشق؛ **فشل محادثات الناقورة، انسحاب الجيش الإسرائيلي** من لبنان واستقراره في "المنطقة الأمنية" تحت وطأة الإرهاب والعصيان المدني (بقيادة "حزب الله" وحركة "أمل").

31. **تُعتبر حرب لبنان من وجهة النظر السورية قصة نجاح** أتاحت لهم تعميق نفوذهم في لبنان. وطبقاً للرؤية السورية، وعلى الرغم من دونيتهم العسكرية براً وجواً، وعلى الرغم من الوجود العسكري الإسرائيلي قريباً من دمشق، ورغم عزلتهم السياسية، إلا أنهم نجحوا في الصمود أمام القوات الإسرائيلية المتفوقة والعمل على انقاذ الجيش السوري في لبنان من التدمير. لقد كانت هذه المكاسب بمثابة قاعدة للصراع الذي أدارته سوريا ضد المكاسب الإسرائيلية أثناء مكوث الجيش الإسرائيلي في لبنان، حتى انسحابه **منها دونما شرط وبدون مكاسب سياسية**.

المرحلة هـ: "هضم" لبنان: تعميق وتثبيت السيطرة السورية على لبنان بعد خروج الجيش الإسرائيلي من لبنان (1985- 1989).

32. تبدأ هذه المرحلة من خروج الجيش الإسرائيلي من لبنان، وانتشاره في "المنطقة الأمنية" وتنتهي بـ "اتفاق الطائف"(1989). إن انهيار المعسكر المسيحي المتعاطف مع اسرائيل بعد قتل بشير الجميل، خروج الجيش الإسرائيلي والقوات الدولية متعددة الجنسيات من لبنان، عودة القوات السورية الى بيروت وتوقف اسرائيل عن التدخل في الساحة اللبنانية الداخلية، **كل هذه جميعاً أبقت لبنان معرضاً لتعميق النفوذ السوري في لبنان. لقد أتاح الوضع الجديد الذي نشأ بعد حرب لبنان** للسوريين **إكمال عملية "السورنة"** التي بدأوا فيها خلال الحرب الأهلية، وفرض نفوذهم على لبنان، بما في ذلك المعسكر المسيحي والذي يعتبر بؤرة المعارضة للسوريين.

33. كان الجنرال **ميشيل عون**، قائد الجيش اللبناني، ومن خلال خطواته غير المحسوبة، بمثابة **محفز** لسلسلة من الوقائع الدراماتيكية التي أدت الى "اتفاق الطائف" ومن بعد ذلك سيطرة سوريا على المنطقة النائية التي تخضع للسيطرة المسيحية. وقد تم تعيين ميشيل عون رئيساً للحكومة العسكرية من قبل الرئيس أمين الجميل قبل مدة قصيرة من انتهاء ولايته. وقد رفض السوريون الإعتراف بحكومته عون (الشرعية)، واعترفوا بالحكومة (التي تؤدي مهمها) برئاسة سليم الحص (مسلم سني). أما ميشيل عون والذي فشل في قراءة الخارطة السياسية، فقد أعلن (بتاريخ 14 آذار 89) عن **"حرب التحرير" ضد المحتل السوري في لبنان**. وهكذا، بقي لبنان دونما رئيس ومع رئيسين متصارعين على الحكومة، أحدهما يحظى بالدعم السوري والآخر يفتقر الى الدعم العربي والدولي.

34. **في ربيع 89**، اندلعت دورة جديدة من المواجهات، الثالثة بالترتيب، من خلال المواجهات العنيفة التي دارت رحاها بين الجيش السوري والمعسكر المسيحي. وقد أدار المعسكر المسيحي صراعه هذه المرة **من موقع ضعف بصورة ملحوظة**: إذ سادت الخلافات والخصومات الشديدة بين مشيل عون وأنصاره في الجيش اللبناني وبين المليشيات المسيحية ("القوات اللبنانية"، بقيادة سمير جعجع)، في الوقت الذي امتنعت فيه اسرائيل والدول الغربية، التي استخلصت العبر من الأزمة اللبنانية، عن **التدخل العسكري** هذه المرة الى جانب ميشيل عون.

35. **على المستوى السياسي**، وكما جرى في الماضي، وقعت سوريا تحت الضغط العربي والدولي من أجل إيقاف القتال وإنهاء الأزمة اللبنانية. وقد كانت في صلب هذه الضغوط **فرنسا و"اللجنة الثلاثية"** العربية المشتركة، والتي ضمت **السعودية، المغرب والجزائر**. وقد بلورت "اللجنة الثلاثية"، والتي أقيمت في أعقاب مؤتمر القمة العربي في الدار البيضاء (أيار 89)، وثيقة تشتمل على مقترحات للإصلاحات السياسية في لبنان **("ميثاق الوفاق الوطني")** من أجل انهاء الحرب الأهلية في لبنان. وقد تم عرض مسودة الوثيقة للنقاش أمام 62 عضواً في البرلمان اللبناني الذي اجتمع في الطائف، السعودية. يجدر التأكيد أن البرلمان اللبناني في ذلك الوقت **كان هيئة متقادمة** وغير تمثيلية، تم انتخاب أعضائه الـ 99 في العام 1972، **قبل اندلاع الحرب الأهلية**، وقد توقفوا عن الأداء مع انهيار النظام اللبناني أثناء الحرب.

36. لعبت **السعودية** دوراً هاماً ومركزياً في بلورة "اتفاق الطائف" واقناع أعضاء البرلمان بدعمه. غير أن **سوريا أيضاً، عنصر القوة المركزي في لبنان**، أثرت على الصياغة النهائية للإتفاق. عشية انتهاء المداولات في الطائف سافر وزير الخارجية السعودي، **سعود الفيصل** الى دمشق، **للتشاور مع السوريين**. وقد حرص السوريون على عدم المس **بمصالحهم الإستراتيجية** في لبنان، وأن يُعبر "اتفاق الطائف" عن المكانة المتميزة لسوريا.

37. **بتاريخ 22 تشرين الأول 89،** تمت المصادقة على "اتفاق الطائف" ("ميثاق الوفاق الوطني") من قبل 58 نائباً في البرلمان (من أصل 62 نائباً)، خلال جلسة احتفالية في الطائف، بعد أن قُطعَت الوعود أمام النواب بأن سوريا ستقوم بإخراج قواتها من لبنان نتيجة الإتفاق. **وقد حاز الإتفاق على الموافقة** والمباركة من العالم العربي والولايات المتحدة الأمريكية، وتحول منذ ذلك الحين الى **حجر الزاوية في** العلاقات اللبنانية الداخلية وعلاقات لبنان مع سوريا. ولا غرابة في أن قرار مجلس الأمن الدولي رقم 1559، في أيلول 2004، اعتمد عليه بصورة كبيرة، بينما يجد أنصار سوريا في لبنان (بما في ذلك "حزب الله") صعوبة في معارضته.

38. وفي الوقت الذي **أصر فيه ميشيل عون على رفض** شرعية "اتفاق الطائف"، فقد نجح السوريون في استعماله **كرافعة لسحق ميشيل عون وأنصاره** (في المرحلة الأولى) **وفرض "الترتيب السوري" على لبنان لاحقاً.**

39. على أساس "اتفاق الطائف" تم انتخاب رئيس جديد، **الياس الهراوي**، الوصي التابع لسوريا والذي يفتقد الى قاعدة قوية خاصة به (24 تشرين الثاني 89). وقد قام الرئيس الهراوي بتعيين حكومة محسوبة على سوريا برئاسة سليم الحص. وقد حاز النظام الحاكم اللبناني الجديد المحسوب على سوريا، والذي أقيم على "الحراب" السورية مستفيداً من الشرعية الخاصة بـ "اتفاق الطائف"، حاز على الإعتراف العربي والدولي. وقد وجد **ميشيل عون وأنصاره أنفسهم في عزلة**، وهكذا تم إعداد الطريق للخطوة القادمة، وهي إخضاع القوات المناوئة لسوريا **وانتهاء عملية سيطرة سوريا على لبنان والتي بدأت في عام 1976.**

40. **بتاريخ 13 تشرين الأول 90**، وهو تاريخ مفصلي في تاريخ التدخل السوري في لبنان، هاجمت قوات الجيش السوري المعززة بالطائرات السورية ووحدات من الجيش اللبناني (بقيادة اميل لحود)، قوات جيش لبنان من أنصار ميشيل عون في سوق الغرب (جنوب شرق بيروت). وخلال بضع ساعات انهارت قوات أنصار عون. وهكذا خضع المعسكر المسيحي الضعيف، المشتت والمعزول، أمام القوات السورية المتفوقة عليهم. أما المنطقة المسيحية المحاصرة التي صمدت منذ اندلاع الحرب الأهلية، فقد جرى احتلالها دون مقاومة تذكر. وقد جرى تصفية قادة المعسكر المسيحي المناوئ لسوريا أو سجنهم أو إجلائهم(5). وهكذا بدأ عهد جديد في لبنان، هو عهد **نظام الطائف**.

و. المرحلة و: تحويل لبنان الى دولة تحت الوصاية والى مكسب استراتيجي (1989- 2005):-

41. مع احتلال المنطقة المسيحية المحاصرة والقضاء على معارضي سوريا، تلقى المحافظون على سيادة لبنان واستقلاليته ضربة قاسية كان من الصعب عليهم الإفاقة منها حتى موت حافظ الأسد. لقد أتاح "اتفاق الطائف" للسوريين السيطرة على **أجهزة الحكم في لبنان** (بما في ذلك **البرلمان، الحكومة والأجهزة الأمنية**) وايصال **الأوفياء لهم وأبرز من ينفذون أوامرهم الى سدة الحكم، بما في ذلك الرؤساء البارزين المحسوبين على سوريا (الياس الهراوي** ومن بعده **اميل لحود).** وعلى قاعدة الإتفاق الذي حدد وجود "علاقات متميزة ومفضلة" بين سوريا ولبنان، ومن خلال حكومة الدمى اللبنانية والرسل (Prpxies) من منفذي أقوالهم، **فرض** السوريون **اتفاقيتين ثنائيتين وفرتا الشرعية لتحويل لبنان الى دولة تحت الوصاية السورية:-**

أ. اتفاق الأخوة، التعاون والتنسيق بين سوريا ولبنان (أيار 91).

ب. اتفاق الدفاع والأمن بين سوريا ولبنان (تموز 91).

42. في فترة "اتفاق الطائف" لم يُضطر السوريون الى إدارة صراع مستمر من أجل تثبيت واستقرار سيطرتهم في لبنان، وقد نجحوا، من خلال سيطرتهم على لبنان في جني فائدة كبيرة في المجالات السياسية، الأمنية والإقتصادية. تجدر الإشارة الى أن السيطرة السورية على لبنان لم تعتمد فقط على وجود القوات السورية في لبنان، بل أيضاً على **التغلغل العميق الى النسيج السياسي، النسيج الإجتماعي ونسيج الإقتصاد اللبناني.** وقد صار الإستقلال اللبناني الذي تم التعبير عنه على شكل الضريبة الكلامية في "اتفاق الطائف" بمثابة البلاستير الذي يتم الصاقه. لقد تحول لبنان الى قضاء سوري يشرف عليه عن كثب **الجنرال غازي كنعان رئيس جهاز الأمن والإستخبارات في لبنان، ووريثه العميد رستم الغزالي.** كما تابع المستوى السياسي الكبير ما يحدث في لبنان: في عهد حافظ الأسد، كان يتم معالجة **"الملف اللبناني" من قبل عبد الحليم خدام. بشار الأسد أيضاً،** وقبل صعوده الى سدة الحكم، مرَّ بعملية "إعداد وتأهيل" في الساحة **اللبنانية.**

43. **المعارضة التقليدية** للسيطرة السورية على لبنان، خاصة في أوساط الطائفة المسيحية المارونية، تفتت الى قطع صغيرة في أعقاب "تمرد" عون. في عهد "نظام الطائف" لم يجرؤ قادة المعسكر المسيحي، والذين برز منهم البطرياك الماروني **بطرس صفير**، على الخروج عن السياسة السورية. **عشية وفاة حافظ الأسد لم تكن في لبنان معارضة منظمة ذات قدرة على العمل.** وقد مكث قادة المعسكر المسيحي في المنفى (حاول ميشيل عون تنظيم مؤيديه الكثيرين من منفاه في فرنسا)، أو أنه تم اصدار أحكام بالسجن لمدد طويلة بحقهم (سمير جعجع) أو السماح لهم بالعودة الى لبنان مع الإلتزام بالحفاظ على "قامة منخفضة" (أمين الجميل).

44. **وفي نفس الوقت وضع "اتفاق الطائف" حداً للحرب الأهلية** وللأزمة اللبنانية التي بدأت في العام 75. وقد نجح السوريون في بناء منظومة لبنانية داخلية ثابتة نسبياً ومبنية على التوازنات الداخلية والخشية من اندلاع الحرب الأهلية مجدداً. وفي أعقاب الإتفاق تم تفكيك المليشيات المسيحية والدرزية وترميم **وتقوية النظام اللبناني الحاكم والموالي لسوريا.** كذلك تم ترميم **بيروت** المهدمة وجرى بناؤها من جديد من قبل **رفيق الحريري** (الذي تحول الى رمز لإعادة إعمار لبنان من الحرب(6))؛ **وتم بناء الجيش اللبناني من جديد** (يضم اليوم حوالي 65.000 جندي وضابط، منتظمين في 11 لواء من المشاة وبعض الوحدات الخاصة)؛ **تم تأهيل أجهزة الإستخبارات اللبنانية وتقويتها** (تحت الإشراف القريب من قبل أجهزة الإستخبارات السورية).

45. غير أن **تطبيق الإتفاق من قبل السوريين كان اختيارياً**، بمعنى- **قاموا بتطبيقه، من وجهة نظرهم، بصورة تامة أو جزئية.** وفي هذا الإطار **تبرز ثلاثة مركبات:-**

أ. امتناع السوريين عن التعاطي مع البند الذي يُعنى بتواجد القوات السورية في لبنان: في الأعوام الخمسة الأخيرة جرى التقليل من التواجد العسكري السوري، وجرى تنفيذ خمسة أشكال من الإنسحابات (مع التغطية الإعلامية الجيدة) للقوات السورية خاصة من منطقة بيروت ومحيطها. **غير أنه لم يتم تطبيق هذا البند من "اتفاق الطائف" بصورة تامة.** وقد بقي الجزء الأساسي من الجيش السوري (حوالي 20.000 جندي وبضمنهم بضعة آلاف من عناصر الإستخبارات(7)) منتشراً في مراكز السيطرة في لبنان حتى اغتيال رفيق الحريري. واليوم، وبعد 16 سنة من "اتفاق الطائف"، وفي أعقاب الضغوط اللبنانية والدولية، يقوم السوريون هذه الأيام بتطبيق هذا البند، ويبدو أن وجودهم العسكري في لبنان بالشكل الذي هو عليه بين السنوات 1975- 2005، يقف أمام خط النهاية.

ب. **خروج الجيش الإسرائيلي من لبنان (24 أيار 2000)** أدى هو الآخر الى يقظة **مناوئة لسوريا**، وهذه المرة **دونما مساعدة أو تدخل من اسرائيل**. الى جانب المعارضة المسيحية التقليدية انضمت هذه المرة مراكز تأثير ذات وزن نوعي من قبل **الدروز** (وليد جنبلاط وأنصاره) **والمسلمون السنة** (رفيق الحريري وأنصاره). أما "حزب الله" الذي استمر في الإحتفاظ بسلاحه (بل وتقوية نفسه) فقد **فقَدَ الى حد كبير الشرعية الداخلية- اللبنانية الخاصة به**. ويتم التعاطي مع استمرار وجوده كتنظيم مسلح ونشاطه الإرهابي ضد اسرائيل، من قبل عناصر في الساحة اللبنانية الداخلية على أنه خرق (اضافي) لـ "إتفاق الطائف" وبدون مبرر، خاصة بعد انسحاب الجيش الإسرائيلي من لبنان (وهذه هي أيضاً الخلفية للخلافات في وجهات النظر بين الحريري و "حزب الله" بخصوص النشاط الإرهابي لـ "حزب الله" ضد اسرائيل).

ج. **الوضع الإستراتيجي الجديد الذي نشأ في الشرق الأوسط بعد العمليات الإرهابية في 11 أيلول**، سيطرة الولايات المتحدة على العراق واسقاط صدام حسين، أدت الى **التأشير على سوريا على أنها عضو في "تحالف الشر" وزيادة الضغوطات الخارجية عليها من أجل كف يدها عن لبنان**. ولأول مرة **تتجند الولايات المتحدة وفرنسا في عمل ديبلوماسي مشترك**، والذي وجد تعبيراً عنه في **قرار مجلس الأمن رقم 1559** بتاريخ 2 أيلول 2004. ويعبر القرار عن الدعم الجازم لسيادة واستقلال لبنان، ويدعو الى **انسحاب جميع القوات غير اللبنانية** [أي- الجيش السوري و"الحرس الثوري"] ويدعو الى **تفكيك المليشيات اللبنانية** [أي- "حزب الله"] **وغير اللبنانية** [أي- منظمات الإرهاب الفلسطينية في مخيمات اللاجئين].

47. لقد أدت هذه التغييرات والعمليات التي وقعت خلال السنوات الأخيرة الى **قضم قوة الوصاية السورية حتى وصلت بصورة دراماتيكية الى مرحلة النضج باغتيال رفيق الحريري**. وقد وجدت هذه التغييرات والعمليات تعبيراً عنها من خلال **الإحتجاج الشعبي** غير المسبوق والذي تطور في بيروت ("انتفاضة الإستقلال")، **من خلال التضامن المناوئ لسوريا بين المسيحيين، السنة والدروز(8)**. وقد تظاهر عشرات الالاف في شوارع بيروت وظهروا أمام وسائل الإعلام اللبنانية والعالمية **وتجرؤا لأول مرة** طالبين **علناً** إخراج القوات السورية وطرد أجهزة الإستخبارات السورية وتبديل منفذي الأوامر السورية في أجهزة الحكم اللبنانية.

48. في نفس الوقت، **كان من الواضح غياب أبناء الطائفة الشيعية من المظاهرات، وهي أكبر طائفة في لبنان**، ومن داخلها نشأ **"حزب الله". الشيخ حسن نصر الله، الأمين العام لـ "حزب الله"، أخذ على عاتقه تجميع أنصار سوريا وبادر الى إقامة تظاهرة زخم هائلة المشاركين (مئات الالاف) في بيروت بتاريخ 8 آذار. إن هذه المظاهرة (و "المظاهرة المضادة" لمعارضي سوريا بتاريخ 14 آذار والتي أخرجت هي الأخرى مئات آلاف الأشخاص الى الشوارع) تشكل برهاناً واضحاً على عمق الخلافات الداخلية في لبنان وخطر الإنفجار الكامن في الساحة اللبنانية الداخلية، في العهد الذي يلي إخراج القوات السورية من لبنان**. وفي نفس الوقت فإن منظومة التوازنات الموجودة في المجتمع والسياسة اللبنانية، الى جانب صور الذاكرة (التي ما تزال غضة طرية) من أيام الحرب الأهلية تشكل كابحاً أمام الإندلاع المجدد للأزمة اللبنانية في العهد الذي يلي "اتفاقية الطائف" وتُلزم جميع الأطراف (بما في ذلك "حزب الله") بالمزيد من الحذر.

50. إن الدمج ما بين الضغوط اللبنانية- الداخلية والضغوط الدولية، الى جانب عُزلة سوريا المتواصلة هي التي دفعت بالأسد الى الإلتزام في خطابه أمام البرلمان السوري بسحب القوات السورية الى منطقة البقاع في لبنان على أساس **"اتفاق الطائف"**. ورداً على الخطاب، فقد أوضحت **الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا** أن **الإجراءات السورية غير كافية** وأنها تطلب **الإنسحاب الكامل** على أساس قرار مجلس الأمن الدولي رقم 1559. وعلى ضوء الضغط الدولي المتزايد، أكمل بشار الأسد الآن سحب الجيش السوري وعناصر الأمن والإستخبارات السورية من بيروت وطرابلس. وقد تم نقل بعضها الى البقاع اللبناني بينما تم نقل البعض الآخر الى سوريا ذاتها. ويبدو أن الوجود العسكري السوري في لبنان، وبالطبع على الشاكلة التي هو عليها الآن، **يشارف الآن على الإنتهاء**.

51. الى جانب ذلك، يجدر التأكيد الى أنه حتى لو قامت سوريا بإخراج قواتها من لبنان فإن الأمر لا يعني تنازل سوريا عن التأثير في لبنان؛ إذ أن المصالح السورية في لبنان عميقة وموغلة في السنين. وقد أقام السوريون لأنفسهم رافعات أخرى للنفوذ في لبنان، عدا عن الوجود العسكري المكشوف.ما تزال هناك شخصيات، مجموعات ومؤسسات في لبنان، وفي مركزها نظام حكم اميل لحود و "حزب الله" والذي جرى تدريج مكانته، يشكلون وكلاء تأثير هامين سيحاول السوريون عن طريقهم العمل من أجل تطوير مصالحهم في لبنان خلال العهد الجديد.

52. غير انه يبدو أن التدخل السوري في لبنان خلال العهد الجديد **سيكون أقل شيوعاً وأكثر اختفاءاً عن الأعين**. ويبدو أن السوريين سينتقلون للعمل ضمن **نمط أكثر ذكاء (وأكثر تعقيداً) للتأثير من وراء الكواليس**. وفي مقابل ذلك، قد تشعر بعض مراكز القوى المحلية بأنها أكثر قوة وأنها تتمتع **بحرية أكبر في الحركة**؛ وهذا ينطوي على خطر في زعزعة الإستقرار النسبي الذي كان سائداً أثناء "نظام الطائف" وظهور الأزمة اللبنانية مرة أخرى على جدول الأعمال الإقليمي والدولي.

ملحق

التمثال المهشم لحافظ الأسد في مدينة "قانا"، جنوبي لبنان، وتهشيم تماثيل عائلة الأسد في أنحاء لبنان: رمز لإنتهاء عهد "نظام الطائف".

1. تمثال حافظ الأسد في مدخل بلدة "قانا" الشيعة، جنوبي لبنان، والذي تم تهشيمه ليلة 26- 27 شباط، بعد مرور حوالي أسبوعين على إغتيال رفيق الحريري(9). ويظهر في قاعدة النصب التذكاري علما سوريا ولبنان (الى الجانبين) والكتابة (في الداخل): تحت رعاية فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية العماد اميل لحود، ممثلاً بوزير الإعلام اللبناني، السيد غازي العريضي، وبحضور السيد عدنان عمران، وزير الإعلام السوري، تم رفع الستار عن النصب التذكاري لذكرى القائد الراحل حافظ الأسد. [بالإضافة الى ذلك] تم غرس شجرة تكريماً للراحل وسمي أحد الشوارع على اسمه". **"قانا، 13.6.2002"**

2. **شاعت** ظاهرة تلاف صور وتماثيل أفراد أسرة الأسد خلال شهر آذار 2005 في أماكن **اضافية من لبنان**. على سبيل المثال:-
أ. **في البلدة (السنية) المرج**، في البقاع اللبناني، تم تهشيم حجر الزاوية لمشروع ثقافي، رياضي واجتماعي لذكرى **باسل الأسد**، نجل حافظ الأسد، والذي قتل في حادث طرق. وطبقاً لرواية أخرى، قام مجهولون بتمزيق صورة ضخمة تضم حافظ الأسد ونجله باسل وكانت معلقة في المكان ("الشرق الأوسط"، 18.3.2005).

ب. في منطقة **روشا** في محيط بيروت، تم إزالة صورتين كبيرتين لحافظ الأسد وابنه بشار وسط التصفيق من قبل عشرات الشبان (وكالة الأنباء الفرنسية، من روشا، 17.3.2005).

ج. في منطقة **العبدة**، قضاء عكار (شمال لبنان)، تم إزالة صور حافظ الأسد وولديه، بشار وباسل والرئيس لحود، والتي كانت معلقة على جسر فوق الطريق السريع الرئيسي المؤدي الى طرابلس (''المستقبل''، لبنان، 21.3.2005).

د. في حديقة عامة في بلدة **راشيا**، جرى اتلاف لوحات لذكرى باسل الأسد. وقد تم طلاء الألواح بالأسود والكتابة عليها: ''البقاع لنا'' (وكالة الأنباء الفرنسية من راشيا، 21.3.2005).

هـ. قام مجهولون بحرق صورة ضخمة لحافظ الأسد وولديه، بشار وباسل، والتي كانت معلقة على عامود في مفرق **جب جنين- غزة- كامد اللوز** في البقاع الغربي (السفير، لبنان، 29.3.2005).

---

1. كانت هذه الخلافات ظاهرة على خلفية الخلافات حول **''مزارع شبعا''** (جبل دوف) والتي تشكِّل جزءا من هضبة الجولان. وقد ظهر هذا الخلاف بعد انسحاب الجيش الإسرائيلي من لبنان. أما الإدعاء – **الذي يفتقد الى الأساس**– بأن المنطقة تابعة للبنان، فإنه يتم استغلاله من قبل ''حزب الله'' كغطاء شرعي في الظاهر من أجل الإستمرار في العمليات في هذه المنطقة ضد قوات الجيش الإسرائيلي.

2. إن الإدعاء السوري بأن القوات السورية دخلت الى لبنان في أعقاب طلب الحكومة اللبنانية **ليس صحيحاً**. ولم يتم إلا **لاحقاً** اضفاء الشرعية على الوجود السوري في أعقاب مؤتمر القمة العربي في القاهرة والرياض.

3. راجع في هذا السياق كتاب جندي يرنو الى السلام، لمؤلفه ابراهام (ابراشا) طمير، إصدار يديعوت أحرونوت''، 1988، ص: 139.

4. في الدورة الثانية من حكومة مناحيم بيجن، صعد الى سدة الحكم أشخاص عارضوا منذ البداية ومن حيث المبدأ التفاهم غير المباشر بين سوريا واسرائيل في العام 1978: أريئيل شارون، والذي تم تعيينه وزيراً للدفاع، ورفائيل ايتان، رئيس هيئة الأركان بالجيش الإسرائيلي.

5. من أبرزهم: **سمير جعجع**، قائد ''القوات اللبنانية'' وما يزال مسجوناً لغاية اليوم، **داني شمعون**، قائد ''القوميين الليبراليين'' والذي تم قتله (على ما يبدو من قبل سعاة سوريين)، **ميشيل عون وأمين الجميل** هربا الى فرنسا (حالياً، عاد أمين الجميل الى بيروت أما ميشيل عون فما يزال في منفاه).

6. جرت عمليات التأهيل بصورة **اختيارية**، وانصبت على المناطق السنية- المسيحية، وفي بيروت على وجه الخصوص، ولم تشمل باقي أجزاء لبنان. أما المناطق الشيعية في الضاحية الجنوبية من بيروت وفي المراكز الأخرى (جنوب لبنان، البقاع) فقد بقيت خارج دائرة التأهيل والإعمار الجديد.

7. في مقابلة مع وزير الدفاع اللبناني، عبد الحليم مراد، قال وزير الدفاع انه يوجد اليوم **14.000** جندي سوري في لبنان. في الماضي كان هناك 40.000 جندي. ووفقاً لأقواله، فإن جزءاً من الـ 14.000 جندي سيبقون في البقاع اللبناني بينما سينسحب جزء آخر الى الأراضي السورية. وقد رفض الرد على السؤال فيما إذا كانت أجهزة الإستخبارات السورية مشمولة بالقرار (مقابلة مع 6-BBC، في شهر آذار 2005). عملياً، انسحبت قوات الجيش السوري بما في ذلك عناصر الأمن والإستخبارات من مناطق بيروت وطرابلس وانسحبت الى البقاع، وبعضها بقي في البقاع وبعضها الآخر استمر بالإتجاه نحو سوريا.

8. على الرغم من أن عناصر في المعسكر المسيحي، في الطائفة الدرزية وفي أوساط المسلمين السنة مستمرة في الإنتساب الى معسكر الداعمين لسوريا. وقد أثبت هذا المعسكر زخمه من خلال المظاهرة الحاشدة التي قادها ''حزب الله'' في 8 آذار 2005.

9. مصدر الخبر: وكالة الأنباء الفرنسية (باللغة العربية)، 27.2.2005. مصدر صورة التمثال المهشم: الصحيفة الكويتية ''الرأي العام''، 27.2.2005. وقد ظهرت صورة التمثال المهشم في العديد من وسائل الإعلام العربية.

mailto:?Subject="الترتيب السوري" في لبنان: تحويل لبنان الى دولة تحت الوصاية السورية في عهد الرئيس حافظ الأسد، وارتخاء السيطرة السورية في عهد الإبن، بشار الأسد (1975-2005)&Body=https://www.terrorism-info.org.il/ar/19571/)

مقالات أخرى متصلة

لى الجهاد العالمي (27-21 كانون ثاني/ يناير 2021) https://www.terro info.org.il/ar/%d9%86%d8%b8%d8%b1%d

لى الجهاد العالمي (20-14 كانون ثاني/ يناير 2021) https://www.terro info.org.il/ar/%d9%86%d8%b8%d8%b1%d

لى الجهاد العالمي (13-7 كانون ثاني/ يناير 2021) https://www.terro info.org.il/ar/%d9%86%d8%b8%d8%b1%d

ت صنيفات

مـنظمات إرهابية (d8%a9...

السلطة الفلسطينية (a9...

دول (84%d9%88%d9...

مـعركة نزع الشرعية (a9%...

مـعلومات عامة عن الارهاب..

ف هرس المكتبة

(http://www.infocenters.co.il/malam_sifria.

ص فحات

اتصل بنا (a7%d9%86%d8%a8%d8%b5%d9%84-...

حـول مركز المعلومات (rrorism-info.org.il/ar/about...

روابط (b7%d8%a8%d8%a7%d9%88%d8%b1%8...

مـعرض المواد المصادرة من الإرهابيين (86%d9%8a%...

خـريطة الموقع (2-terrorism-info.org.il/ar/40585....

This site is accessible according to code 5568

© www.terrorism-info.org.il (https://www.terrorism-info.org.il/ar/)

powered by moveo (http://moveosoftware.com/)